فضل قيام الليل

للشيخ/ندا أبو أحمد

فضل قيـام الليل

تمهيـد

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

أولا: فضل قيام الليل من القرآن الكريم:

١- قيام الليل يجعلك من عباد الله المشهود لهم بالإيمان.

٢- قيام الليل يجعل أهله يتميزون عن غيرهم، فلا يستوون مع غيرهم.

٣- قيام الليل يجعلك من عباد الله الصالحين المستقيمين على شريعته وسنة رسوله ﷺ.

٤- قيام الليل فرصة لإدراك وقت السحر والدعاء فيه.

٥- قيام الليل يرى أثره في وجوه العابدين.

٦- قيام الليل من وسائل الثبات.

٧- قيام الليل تربية على الصبر.

٨- قيام الليل يجعلك من عباد الله المحسنين المستحقين لرحمة رب العالمين.

٩- قيام الليل يجعلك من عباد الله الذين وعدهم الله بجنة الخلد.

١٠- ولجلالة قدر قيام الليل وفضله، فقد خاطب الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بأن يتصدى لهذا الشرف العظيم والفضل الكبير، ليظفر بالمقام المحمود.

١١- قيام اللي حث عليه رب العالمين في كتابه الكريم في أكثر من موضع.

ثانياً: فضل قيام الليل والترغيب فيه من السنة النبوية المطهرة:

١- قيام الليل أفضل الصلوات بعد المكتوبات.

٢- قيام الليل أحب الصلاة إلى الله بعد المكتوبة.

٣- قيام الليل لشكر النعم والتأسي بالرسول ﷺ.

٤- قيام الليل للتأسي بالصالحين والتشبه بهم.

٥- قيام الليل يدخل صاحبه في قائمة الصديقين والشهداء.

٦- قيام الليل يدخل صاحبه في قائمة الأبرار.

٧- قيام اللي يدخل صاحبه في قائمة المرحومين.

٨- قيام الليل يدخل صاحبه في قائمة الذاكرين الله كثيرًا.

٩- قيام الليل يدخل صاحبه في قائمة القانتين المخلصين، ولم يكتب من الغافلين.

١٠- قراءة القرآن في قيام الليل خير من نعيم الدنيا الزائل.

١١- قيام الليل دليل على صلاح العبد.

١٢- قيام الليل سبيل للتقرب من الله تعالى.

١٣- قيام الليل: يجعل الإنسان طيب النفس نشيط.

١٤- قيام الليل سبيل النصر على الأعداء.

١٥- قيام الليل وقاية من الأمراض والأسقام.

١٦- قيام الليل وقاية من الفتن.

١٧- قيام الليل فرصة لمراجعة القرآن، وتذكر ما تفلت منه.

١٩- قيام الليل لإحراز الشرف الحقيقي.

٢٠- يتعجب الله تعالى ممن يقوم الليل، ويباهي به الملائكة.

٢١- قيام الليل سبيل لإجابة الدعاء.

٢٢- قيام الليل سبب للفوز بمحبة الله تعالى.

٢٣- قيام الليل سبب للتعرض وقت نزول الرب سبحانه وتعالى، ووقت إجابة الدعاء.

٢٤- قيام الليل سبب لقرب الملائكة من المصلي، واستماعهم لقراءته.

٢٥- قيام الليل سبيل للبعد عن المعاصي.

٢٦- قيام الليل سبب لتكفير الذنوب ومحو السيئات.

٢٧- قيام الليل سبيل لتحصيل الأجور وكسب الحسنات.

٢٨- قيام الليل يهون من طول القيام في عرصات يوم القيامة.

٢٩- قيام الليل يشفع للعبد يوم القيامة.

٣٠- قيام الليل نجاة من النار.

٣١- قيام الليل سبيل لدخول الجنة.

٣٢- قيام الليل ترفع به الدرجات في الجنة.

فضل من بات طاهراً:

فضل من يقول هذه الكلمات إذا استيقظ من الليل:

فضل من نوى قيام الليل فغلبته عينه حتى أصبح:

فضل من نام عن ورده بالليل فقضاه بالنهار:

فضل قيام رمضان:

فضل قيام ليلة القدر:

١- قيام ليلة القدر أفضل من عبادة ألف شهر.

٢- قيام ليلة القدر غفران للذنوب المتقدمة.

مقدمة:

قيام الليل أفضلُ الصلوات بعد المكتوبات. فهو أحبُّ الصلاةِ إلى اللهِ بعدَ المكتوبة، وهو صلة بين العبد وربه. وزاد المتقين، وطريق السالكين إلى رب العالمين، وهو غذاء للروح، وجلاء للقلب، وصفاء للنفس، وراحة للبال، وانشراح للصدر، وقوة للبدن، ونور في الوجه، وهو دليل على علو الهمة، وقوة الإيمان.

فطوبى للمتهجدين بالليل، أولئك الذين يرثون النور التام يوم القيامة، فقد قاموا في ظلمة الليل يتضرعون إلى ربهم، قلوبهم تحت العرش معلقة، وأجسادهم في الدنيا منتصبة، يقفون بين يدي مولاهم يرجون رحمته ويخافون عذابه. فيوم القيامة يعطيهم الله تعالى ما يرجون، ويؤمنهم مما يخافون.

يقول يزيد الرقاشي- رحمه الله-: بطول التهجدِ تقرُّ عيونُ العابدين وبطول الظمأ تفرحُ عند لقاء رب العالمين. **(كتاب التهجد لابن أبي الدنيا ص ٤٠٧)**

فقيام الليل شريعة ربانية، وسنة نبوية، ومدرسة تربوية، وخصلة حميدة مرضية، ودموع وعبرات قلبية، وآهات وزفرات شجية، وخلو برب البرية، وسعادة روحية، وقوة جسمانية، تتعلق الروح فيها بالجنات العلية، وفيها من الفضائل والثمرات والفوائد الجلية.

أولا: فضل قيام الليل من القرآن الكريم:

١- قيام الليل يجعلك من عباد الله المشهود لهم بالإيمان:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة:١٥-١٧)

قال ابن القيم-رحمه الله- في كتاب "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص٢٧١":

" تأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم، حين يقومون إلى صلاة الليل بُقِرَّة الأعين في الجنة ". اهـ.

وقال ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره: ٣/ ١٤ ": " يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ أي إنما يصدق بها ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ أي استمعوا لها وأطاعوها قولًا وفعلًا ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي عن اتباعها والانقياد لها كما يفعله الجهلة من الكفرة، ثم قال(تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) يعني بذلك قيام الليل، ثم قال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: خوفًا من وبال عقابه وطمعًا في جزيل ثوابه،﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية، ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله ﷺ".

كما قال عبد الله بن رواحة ﷺ:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

ثم قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أي فلا يعلم أحد عظمة ما أخفي الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد لما أخفوا أعمالهم كذلك، أخفي الله لهم الثواب، جزاءًا وفاقا، فإن الجزاء من جنس العمل. اهـ.

وقال الحسن البصري- رحمه الله- في الآية السابقة: " أخفي قوم عملهم فأخفي الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر ". (رواه ابن أبي حاتم)

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: قال الله- تعالى- **: " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" قال أبو هريرة ﷺ اقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**

وقال فضيلة الشيخ العلامة السعدي-رحمه الله- في" تفسيره ١٣٤-١١٣٥":

وقوله ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ أي: إيمانًا حقيقيًا، من يوجد منه شواهد الإيمان وهم ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾ فتليت عليهم آيات القرآن، وأتتهم النصائح على أيدي رسل الله ودعوا إلى التذكير، سمعوها فقبلوها، وانقادوا، ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ أي: خاضعين لها، خضوع ذكر لله وفرح بمعرفته. ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا بقلوبهم، ولا بأبدانهم، فيمتنعون من الانقياد لها، بل متواضعون لها، قد تلقوها بالقبول، وقابلوها بالانشراح والتسليم وتواصلوا بها، إلى مرضاة الرب الرحيم، واهتدوا بها إلى الصراط المستقيم. ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ أي: ترتفع جنوبهم وتتزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذ عندهم منه وأحب إليهم، وهو: الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى.

ولهذا قال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ودفع مضارهما ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي جامعين بين الوصفين، خوفًا أن ترد اعمالهم وطمعًا في قبولها خوفًا من عذاب الله، وطمعًا في ثوابه. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ من الرزق، قليلًا أو كثيرًا "ينفقون" ولم يذكر قيد النفقة ولا المنفق عليه، ليدل على العموم، فإنه يدخل فيه، النفقة الواجبة كالزكوات، والكفارات، ونفقة الزوجات والأقارب، والنفقة المستحبة في وجوه الخير، أما جزاؤهم فقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ يدخل فيه جميع نفوس الخلق، لكونه نكرة في سياق النفي . أي: فلا يعلم أحد ما أخفي لهم من قرة أعين، من الخير الكثير والنعيم الغزير والفرح والسرور واللذة والحبور، كما قال تعالى على لسان رسوله ﷺ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. اهـ. بتصرف واختصار.

٢- قيام الليل يجعل أهله يتميزون عن غيرهم، فلا يستوون مع غيرهم:

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر:٩)

قال العلامة السعدي-رحمه الله- في" تفسيره: ٤/٣٢٦ ":

" هذه مقابلة بين العامل بطاعة الله وغيره، وبين العالم الجاهل، وأن هذا من الأمور، التي تقرر في العقول، تباينها، وعلم علمًا يقينًا تفاوتها. فليس المعرض عن طاعة ربه، المتبع لهواه، كمن هو قانت أي: مطيع لله، بأفضل العبادات، وهي الصلاة، وأفضل الأوقات، وهي أوقات الليل، وصفه بكثرة العمل وأفضله ثم وصفه بالخوف والرجاء. وذكر أن متعلق الخوف، عذاب الآخرة، على ما سلف من الذنوب وأن متعلق الرجاء، رحمة الله، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ ربهم ويعلمون دينه الشرعي، ودينه الجزائي، وماله في ذلك من الأسرار والحكم ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ شيئًا عن ذلك؟ لا يستوي هؤلاء، ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ أذا ذكروا ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي: أهل العقول الزكية الذكية. فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته، لأن لهم عقولًا، ترشدهم للنظر في العواقب، بخلاف من لا لب له ولا عقل، فإنه يتخذ ألهه هواه ". اهـ.

٣- قيام الليل يجعلك من عباد الله الصالحين المستقيمين على شريعته وسنة رسوله ﷺ:

قال تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١١٣-١١٥)

قال ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره ١/٣٧٩ ":" وقوله ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ أي: قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه، متبعة نبي الله، فهي قائمة يعنى: مستقيمة ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يقيمون الليل ويكثرون من التهجد ويتلون القرآن في صلواتهم، ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ﴾ (آل عمران:١٩٩) ولهذا قال تعالى ها هنا (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ) أي لا يضيع عند الله بل يجزيهم به أوفر الجزاء ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ أي لا يخفي عليه عمل عامل ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملا." اهـ.

٤- قيام الليل فرصة لإدراك وقت السحر والدعاء فيه:

قال تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران:١٧)

- ***قال شيخ المفسرين الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري-رحمه الله-:***" القانتين: المطيعين له، ثم نسب القول إلى قتادة، أما قوله ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ فقال أبو جعفر: أختلف أهل التأويل في القوم الذين هذه الصفة صفتهم: فقال بعضهم: هم المصلون بالأسحار (قاله قتادة)، وقال آخرون: هم المستغفرون، وهذا قول ابن مسعود ﷺ. وقد وردعن نافع: أن ابنَ عمرَ- رضي الله عنهما- يحيي الليل صلاة ثم يقول: **يا نافعُ هل أسحرنا؟ فيقول: يا نافع هل أسحرنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة، فإذا قلت: نعم، قعد يستغفر ويدعو حتى يصبح** ".

- ***وقد ذكر ابن جرير الطبري أقوالًا أخرى، فقال:*** وأولى هذه الأقوال: قول من قال: هم السائلون ربهم أن يستر فضيحتهم بها، وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء، وقد يحتمل معناه تعرفهم لمغفرته بالعمل والصلاة غير أن أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء. اهـ بتصرف واختصار.

- ***وقال القرطبي-رحمه الله- في" تفسيره ٢/١٢٨٠":***"واختلف في معنى قوله: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ فقال أنس بن مالك ﷺ هم السائلون المغفرة، وقال قتادة: المصلون. اهـ.

- ***وكان يحيى بن معاذ الرازي-رحمه الله- يقول:*** دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتفكر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين. (صفة الصفوة لابن الجوزي: ٤/٩٢)

٥- قيام الليل يُرَى أثره في وجوه العابدين

وقال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (الفتح:٢٩)

قال القرطبي في تفسير هذه الآيات: " السيما" العلامة أي: لاحت علامات التهجد بالليل وأمارات السهر.

وقال شِمِر بن عطية-رحمه الله-: " هو صفرة الوجه من قيام الليل ".

وقال الحسن-رحمه الله-: " إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى ".

وقال سفيان الثوري-رحمه الله-: " يصلون بالليل فإذا أصبحوا رؤي ذلك في وجوههم ".

وقال الضحاك-رحمه الله-: " أما إنه ليس بالندب في وجوههم، ولكنه الصفرة ".

وقال الضحاك أيضًا: " هو السهوم[١] إذا سهر الرجل من الليل أصبح مصفرًا ". اهـ.

وقال عكرمة-رحمه الله-: " هو السهر يرى في وجوههم ". (مختصر قيام الليل ص ٢٠)

١- السهوم: هو تغير الوجه.

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ(٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ (عبس:٣٨،٣٩)

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: " وجوه مسفرة من قيام الليل ".

وقيل للحسن البصري- رحمه الله-: " ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوهًا؟ قال:" لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره ".

وجوه طالما غسلتها الدموعُ، وجوه طالما أذلها في الدياجي الخشوعُ، خاطرت في الليالي سالمة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ وجوه في الليل أذعنت وذلت، وجوه ألفت السجود فما ملت، وجوه توجهت إلى الله وعن غيره تولت، زالت عنها فترة الهجر وتجلت، فحلت بجواره غانمة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾.

(كتاب الصلاة والتهجد لابن الخرّاط)

كان الناس إذا رأوا النور الذي يعلو وجه وكيع بن الجراح – وكان من المتهجدين- قالوا: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾. (يوسف:٣١)

القـانتون المخبتـون لـربهم ... الناطقون بأصدقِ الأقـوالِ
يحيـون ليلَهم بطاعـةِ ربهمِ ... بتـلاوة، وتـضرعٍ، وسـؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم ... مثل انهمـال الوابـل الهطـالِ
في الليل رهبان، وعند جهادهم ... لعدوهـم مـن أشجع الأبطـال
وإذا بـدا علـم الـرهان رأيتهم ... يتسابقـون بصالـح الأعمـال
بوجوهـهم أثـرُ السجودِ لربهم ... وإذا بـدا علـم الـرهان رأيتهم

(إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم)

٦- قيام الليل من وسائل الثبات على الأمر، والإعانة على الأعمال وصلاح الأحوال:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (المزمل:١-٦)

قال الفراء-رحمه الله-: ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة، والليل وقت الفراغ عن الاشتغال بالمعاش؛ فعبادته تدوم ولا تنقطع.

وقال عكرمة-رحمه الله-: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي: أتم نشاطًا وإخلاصًا وأكثر بركة ".

وقال ابن زيد-رحمه الله-: " أجدر أن يتفقه في القرآن، وقيل: أعجل إجابة للدعاء ".

قال أبو عبد الرحمن السلمي-رحمه الله-: " لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قام رسول الله ﷺ وأصحابه حولًا حتى انتفخت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت: ﴿إِنَّ هذه تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ حتى بلغ ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ **(ذكره محمد بن نصر المروزي بسند صحيح، انظر الفتح: ٢٨/٣)**

٧- قيام الليل تربية على الصبر:

والصبر على الطاعة أفضل أنواع الصبر، **ولقد قال تعالى:** ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة:٤٥) وقيام الليل يجمع بين الصلاة والصبر.

٨- قيام الليل يجعلك من عباد الله المحسنين المستحقين لرحمة رب العالمين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات:١٥-١٩)

قال العلامة السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآيات ٥/٩٠-٩١: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: الذين كانت التقوى شعارهم، وطاعة الله دثارهم ﴿ فِي جَنَّاتٍ ﴾ مشتملات على جميع أصناف الأشجار، والفواكه التي يوجد لها نظير في الدنيا، والتي لا يوجد لها نظير، مما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم يخطر على قلب بشر. ﴿وَعُيُونٍ﴾ سارحة، تشرب منها تلك البساتين، ويشرب بها عباد الله، يفجرونها تفجيرا. ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يحتمل أن المعنى أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مناهم، من جميع أصناف النعيم، فأخذوا ذلك، راضين به، قد قرت به أعينهم، وفرحت به نفوسهم، ولم يطلبوا منه بدلا، ولا يبغون عنه حولا، وكل قد ناله من النعيم، ما لا يطلب عليه المزيد. ويحتمل أن هذا وصف المتقين في الدنيا، وأنهم آخذون ما آتاهم الله، من الأوامر والنواهي، أي: قد تلقوها بالرحب، وانشراح الصدر، منقادين لما أمر الله به، بالامتثال على أكمل الوجوه، ولما نهى عنه، بالانزجار عنه لله، على أكمل وجه، فإن الذين أعطاهم الله من الأوامر والنواهي، هو أفضل العطايا، التي حقها، أن تتلقى بالشكر لله عليها، والانقياد، والمعنى الأول، ألصق بسياق الكلام، لأنه ذكر وصفهم في الدنيا، وأعمالهم بقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ الوقت الذي وصلوا به إلى النعيم. ﴿مُحْسِنِينَ﴾ وهذا شامل لإحسانهم بعبادة ربهم، ان يعبدوه كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم، وللإحسان إلى عباد الله ببذل النفع، والإحسان، من مال أو علم أو جاه أو نصيحة أو أمر بعروف أو نهي عن منكر أو غير ذلك من وجوه البر وطرق الخيرات. حتى أنه يدخل في ذلك الإحسان بالقول، والكلام اللين والإحسان إلى المماليك، والبهائم المملوكة، وغير المملوكة ومن أفضل أنواع الإحسان في عبادة الخالق، صلاة الليل، الدالة على الإخلاص، وتواطؤ القلب واللسان ولهذا قال: ﴿كَانُوا﴾ أي: المحسنون ﴿قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ أي: كان هجوعهم أي: نومهم بالليل، قليلًا. وأما أكثر الليل، فإنهم قانتون لربهم، ما بين صلاة، وقراءة، وذكر، ودعاء وتضرع. ﴿وَبِالْأَسْحَارِ﴾ التي هي قبل الفجر ﴿هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الله تعالى فمدوا صلاتهم إلى السحر، ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل، يستغفرون الله، استغفار المذنب لذنبه. وللاستغفار بالأسحار فضيلة وخصيصة، ليست لغيره، كما قال في وصف أهل الإيمان والطاعة:" والمستغفرون بالأسحار ". اهـ.

٩- قيام الليل يجعلك من عباد الله الذين وعدهم الله بجنة الخلد.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) . . .إلى قوله تعالى: أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ (الفرقان:٦٣-٧٥)

قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسير الآيات السابقة: ٢/٧٧٦ - ٧٨١:

" هذه صفات عباد الله المؤمنين ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار، وقوله ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: إذا سفه عليهم الجاهل بالقول السيئ لم يقابلوهم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرًا كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلمًا، ثم ذكر ليلهم خير ليل فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ أي: في طاعته وعبادته، ولما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات الجميلة، والأقوال والأفعال الجليلة، قال بعد ذلك ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي المتصفون بهذه ﴿يجزون﴾ يوم القيامة ﴿الغرفة﴾ وهي الجنة وسميت بذلك لارتفاعها،﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: على القيام بذلك ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ أي يبتدرون فيها بالتحية والإكرام، وقوله ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي مقيمين لا يظعنون ولا يحولون ولا يموتون ولا يزولون عنها ولا يبغون عنها حولا ثم قال ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي حسنت منظرًا وطابت مقيلًا ومنزلًا ". اهـ. بتصرف واختصار

وقال أحدهم في وصف هؤلاء:

أمنــع جفــونَك إن تذوق منامــاً ... واذر الدموعَ على الخدود سجاما
واعــلم بأنــك مــيتٌ ومحــاسبٌ ... يا منْ على سخطِ الجليلِ أقــاما
لله قــومٌ أخلصــوا في حبــــه ... فرضي بهم واختصهم خدامـــا
قــوم إذا جــنَّ الظــلامُ عليهم ... باتــوا هنــالك ســجــدًا وقيــاما
خمص البطون من التعفف ضمرًا ... لا يعرفون ســوى الحــلال طعاما

١٠- ولجلالة قدر قيام الليل وفضله، فقد خاطب الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بأن يتصدى لهذا الشرف العظيم والفضل الكبير، ليظفر بالمقام المحمود:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء:٧٩)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: ٢/٤٨٢:

وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة، كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال: صلاة الليل، ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل فإن التهجد ما كان بعد النوم، قاله علقمة والأسود وإبراهيم النخعي وغير واحد، وهو المعروف في لغة العرب، وكذلك ثبتت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه كان يتهجد بعد نومه عن ابن عباس وعائشة وغير واحد من الصحابة، وقال الحسن البصري هو ما كان بعد العشاء، ويحمل على ما كان بعد النوم.

واختلف في معنى قوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ فقيل معناه: أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك فجعلوا قيام الليل واجبًا في حقه دون الأمة، رواه العوفي عن ابن عباس وهو أحد قولي العلماء، وأحد قولي الشافعي -رحمه الله- واختاره ابن جرير.

وقيل إنما جعل قيام الليل في حقه نافلة على الخصوص لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وغيره من أمته إنما يكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التي عليه، قاله مجاهد وهو في المسند عن أبي أمامة الباهلي ﷺ.

وقوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ أي فعل هذا الذي أمرتك به لنقيمك يوم القيامة مقامًا محمودًا يحمدك فيه الخلائق كلهم، وخالقهم تبارك وتعالى.

قال ابن جرير-رحمه الله-: "قال أكثر أهل التأويل ذلك هو المقام الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم ". اهـ.

١١- قيام الليل حث عليه رب العالمين في كتابه الكريم في أكثر من موضع:

أ- **قال تعالى:** ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ (الطور:٤٨-٤٩)

- وقوله ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ اختلف أهل العلم في تفسيرها، فمنهم من قال: التسبيح حين يقوم إلى الصلاة، ومنهم من قال: التسبيح حين الاستيقاظ من النوم، ومنهم من قال: التسبيح حين القيام من المجلس، ***وهذه الأقوال ذكرها ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره: ٣/٤٣٥-٤٣٦"***

فقال: وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال الضحاك: أي الصلاة فيقول:" سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك".

وروى مسلم في صحيحه عن عمر﷽ أنه كان يقول: **هذا في ابتداء الصلاة.**

(ورواه أحمد وأهل السنن عن أبي سعيد وغيره عن النبي ﷺ أنه كان يقول ذلك)

وقال أبو الجوزاء-رحمه الله-: **وقوله:** ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ أي من نومك من فراشك، واختاره ابن جرير، ***ويتأيد هذا القول بما رواه الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:*** **" من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله، لا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: رب اغفر لي- أو قال: ثم إذا دعا استجيب له، فإن عزم فتوضأ، ثم صلى قبلت صلاته".**

(أخرجه البخاري في صحيحه وأهل السنن)

- **وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد-رحمه الله-:** وقوله **(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ)** قال: من كل مجلس، وقال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص **(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ)** قال إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال:" **سبحانك اللهم وبحمدك**" وقد وردت أحاديث مسندة من طريق يقوي بعضها بعضًا بذلك فمن ذلك **حديث *أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:*** **من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه "سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك** " (رواه الترمذي والنسائي في اليوم الليلة)

ثم قال تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل، **كما قال تعالى:** ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء:٧٩)

- وقال القاسمي-رحمه الله- في" محاسن التأويل ص٥٥١:

" وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة بالليل ". اهـ.

وقال ابن العربي-رحمه الله-: **في قوله تعالى:** ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ (ق:٤٠) الصلاة تسمى تسبيحًا لما فيها من التسبيح، ومنه سبحة الضحى.

وقال ابن جرير الطبري -رحمه الله-في" تفسيره: ٢٦/ ١٨٠"عند الآية السابقة:

" هي صلاة الليل من أي وقت صلى، قال مجاهد: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ من الليل كله ". اهـ.

وقال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: ٣/ ٤١٨:

" وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي فصل له، كقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩)".

ب - قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ (الإنسان:٢٦)

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسيره ص ٦٩٤١:

وقوله: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ يعني التطوع في الليل، " قاله ابن حبيب " .

وقال القاسم-رحمه الله- في" محاسن التأويل ص ٦٠١٦":

وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ أي بالتهجد فيه، ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ أي مقدارًا طويلًا: نصفه، أو زيادة عليه، وفي هذه الأوامر، مع الأمر في أول" المزمل" وأمثالها ما يدل على العناية بقيام الليل والحرص عليه، والقصد: حثه ﷺ على أن يستعين في دعوة قومه والصدع بما أمر به، بالصبر على أذاهم والصلاة والتسبيح كقوله ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ وقوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ. وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ وأمثالها. اهـ.

جـ - قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ (الشرح:٧،٨)

قال القرطبي-رحمه الله- في" تفسيره: صـ ٧١٩٨ ":

قال ابن مسعود ﷺ عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ أي إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل. اهـ. **(هدي الساري مقدمة صحيح البخاري لابن حجر ص٤٨١)**

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

ثانياً: فضل قيام الليل والترغيب فيه من السنة النبوية المطهرة:

١- قيام الليل أفضل الصلوات بعد المكتوبات:

- فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أفضل الصيام بعد رمضان: شهر الله المحرم، أفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل ".

وفي رواية عند الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال:" الصلاة في جوف الليل، قال: فأي الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال:" شهر الله المحرم"

قال النووي- رحمه الله-: وقوله ﷺ: " وأفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل...".

فيه دليل لما اتفق العلماء عليه أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار، وفيه حجة لأبي اسحاق المروزي من أصحابنا ومن وافقه أن صلاة الليل أفضل من السنة الراتبة، وقال أكثر أصحابنا: الرواتب أفضل، لأنها تشبه الفرائض، والأول أقوى، وأوفق للحديث، والله أعلم. اهـ.

وقال المباركفوري-رحمه الله- في تحفه الأحوذي: ٢/٥١٧:" قال الطيبي: ولعمري إن صلاة التهجد لو لم يكن فيها فضل سوى قوله تعالى، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، وقوله تعالى ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ إلى قوله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ وغيرهما من الآيات لكفاه مزية ". اهـ.

وكان عبد الله بن مسعود ﷺ إذا هدأت العيون قام فيُسمع له دوي كدوي النَّحلِ حتى يصبحَ.

٢- قيام الليل أحب الصلاة إلى الله بعد المكتوبة:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال:" أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يومًا ويفطر يومًا".

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في الفتح:" قال المهلب: كان داود عليه السلام يجمّ نفسه بنوم أول الليل، ثم يقوم في الوقت الذي ينادي الله فيه: هل من سائل فأعطيه سؤله، ثم يستدرك بالنوم ما يستريح به من نصب القيام في بقية الليل، وهذا هو النوم عند السحر، وإنما صارت هذه الطريقة أحب من أجل الأخذ بالرفق للنفس التي يخشى منها السأمة، وقد قال ﷺ:" إن الله لا يمل حتى تملوا والله يحب أن يديم فضله وإحسانه ". اهـ.

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم ". (صحيح الجامع: ١١١٦) (الإرواء: ٤٤٩)

وسُئل الحسن البصري –رحمه الله–: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال:" الصلاة في جوف الليل ".

ويقول ابن شوذب–رحمه الله–:" اجتمع الحسن ومعاوية بن قرة وأشباههما وتذاكروا أي الأعمال أفضل؟ فقال الحسن: ما عمل عمل بعد الجهاد في سبيل الله أفضل من ناشئة الليل ".

(الزوائد على الزهد لعبد الله بن أحمد بن حنبل ص ٤٠٢)

٣- قيام الليل لشكر النعم والتأسي بالرسول - صلى الله عليه وسلم-:

فالنبي ﷺ قام الليل حتى تورمت قدماه، وذلك تحقيقًا لمعنى العبودية لله ﷻ وشكر النعم.

فقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: **" إن كان النبي ﷺ ليقوم أو ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه فيقال له: فيقول: أفلا أكون عبدًا شكورًا ".**

– *وفي رواية:*" قام النبي ﷺ حتى تورَّمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبدًا شكورًا ".

– *وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم عن عائشة – رضي الله عنها–:*" أن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت: لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا ".

– *وأخرج ابن خزيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:*" كان رسول الله ﷺ يقوم حتى تَرِمَ قدماه، فقيل له: أي رسول الله ! أتصنع هذا وقد جاءك من الله أن قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال:" أفلا أكون عبدًا شكورًا ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٦٢٠)

– *وثبت عند أبي داود وابن خزيمة عن عبد الله بن أبي قيس قال: قالت عائشة – رضي الله عنها–:*
" لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدًا ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٦٣٢)

وقد رُوِيَ عن سفيان الثوري –رحمه الله– أنه شبع ليلة فقال: إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله، فقام تلك الليلة حتى أصبح ".

وروي عن ابن رواحة رضي الله عنه أنه قال:

وفينا رسـول الله يتلو كتابـه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالكـافريـن المضاجـع

٤- قيام الليل للتأسي بالصالحين والتشبه بهم:

فقد أخرج الترمذي والحاكم والبيهقي من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ....." (صحيح الترغيب والترهيب: ٦٢٤: صحيح الجامع: ٤٠٧٩)

قال المناوي- رحمه الله- في" فيض القدير: ٤/ ٣٥١":

وقوله:" دأب الصالحين قبلكم" أي هي عبادة قديمة واظب عليها الكُمَّل السابقون واجتهدوا في إحراز فضلها. اهـ.

فقيام اليل مضمار المتسابقين، ورأس مال الفائزين، وطريق السالكين إلى رب العالمين.

قال الفضيل بن عياض- رحمه الله-:

" كان يقال: من أخلاق الأنبياء والأصفياء الأخيار الطاهرة قلوبهم، خلائق ثلاثة: الحلم، والإنابة، وحظ من قيام الليل ". (حلية الأولياء ٨/ ٩٥)

وكان طلحة بن مصرف-رحمه الله- يقول: بلغني أن العبد إذا قام من الليل للتهجد ناداه ملكان: طوبى لك!! سلكت منهاج العابدين قبلك.

فسجود المحراب، واستغفار الأسحار، ودموع المناجاة: سيماء يحتكرها المؤمنون، ولئن توهم الدنيوي: جناته في الدينار، والنساء، والقصر المنيف، فإن جنة المؤمن في محرابه" (الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص٢٧)

- من قام الليل تشبه بالصالحين، بل وأصبح منهم، وحشر معهم:

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال:" جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف تقول في رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ:" المرء مع من أحب ".

والمراد بقوله ﷺ:" المرء مع من أحب". أي في الجنة . (عمدة القارئ)

٥- قيام الليل يدخل صاحبه في قائمة الصديقين والشهداء

فقد أخرج البزار وابن خزيمة وابن حبان عن عمرو بن مُرة الجُهني ﷺ قال:" جاء رجل من قضاعة إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وصمت رمضان وقمته، وأتيت الزكاة؟ قال رسول الله ﷺ:" من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٣٦١)

-وفي رواية ابن حبان جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان، وقمته فممن أنا؟ قال:" من الصديقين والشهداء".

٦- قيام الليل يدخل صاحبه في قائمة الأبرار:

-فقد أخرج عبد بن حميد والضياء عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار، يقومون الليل ويصومون النهار، ليسوا بأَثمةٍ ولا فُجّار". (الصحيحة: ١٨١٠) (صحيح الجامع: ٣٠٩٧)

فالنبي ﷺ جعل أول صفات الأبرار قيامهم بالليل.

٧- قيام الليل يدخل صاحبه في قائمة المرحومين:

- فقد أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلَّتْ، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها فصلَّى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء ". (صحيح الجامع: ٣٤٨٨)

- وفي رواية:" إذا قاما وصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات ". (صحيح الترغيب: ٦٢٥)

" نضح ": قال ابن الأثير -رحمه الله-: يعني رش.

" في وجهها الماء": قال المناوي- رحمه الله- في " فيض القدير: ٤/٢٥-٢٦:" نبه به على ما في معناه من نحو ماء ورد أو زهر، وخص الوجه بالنضح لشرفه، ولأنه محل الحواس التي بها يحصل الإدراك ".

وقد أفاد الطيبي-رحمه الله-: أن من أصاب خيرًا ينبغي أن يحب لغيره ما يحب لنفسه فيأخذ بالأقرب فالأقرب، والنبي ﷺ، لما نال ما نال بالتهجد من الكرامة أراد أن يحصل لأمته حظ من ذلك، فحثهم عليه عادلًا عن صيغة الأمر للتلطف فقال:" رحم الله رجلًا....". اهـ. بتصرف واختصار.

فعليك أخي الحبيب بقيام الليل، حتى تدخل في دعوة النبي ﷺ وفي حديث عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: تهجد رسول الله ﷺ في بيتي، فسمع صوت عَبّاد بن بشر ﷺ فقال: يا عائشة! صوت عباد بن بشر هذا؟ فقلت: نعم، فقال: اللهم اغفر له، وفي رواية: أنه قال:" اللهم ارحم عبَّادًا ".

(صححه ابن حجر في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة، في ترجمة عباد بن بشر)

٨- قيام الليل يدخل صاحبه في قائمة الذاكرين الله كثيرًا:

-فقد أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة وأبي سعيد- رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله ﷺ:"من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته، فصليا ركعتين جميعًا؛ كتبا ليلتئذٍ من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات". (صحيح الجامع: ٦٠٣٠)

-وأخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أي هريرة وأبي سعيد -رضي الله عنهما- قالا: قال رسول الله ﷺ:" إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعًا كتبا من الذاكرين والذاكرات ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٦٢٦)

٩- قيام الليل يدخل صاحبه في قائمة القانتين المخلصين، ولم يكتب من الغافلين:

- فقد اخرج ابن خزيمة والحاكم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" من صلى في ليلة بمائة آية لم يُكتب من الغافلين، ومن صلى في ليلة بمائتي آية كُتب من القانتين المخلصين ".

(صحيح الترغيب:٦٣٦)

- وفي رواية عن ابن خزيمة من حديث أبي هريرةﷺ عن رسول الله ﷺ قال:" من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكن من الغافلين، ومن قرأ في ليلة مائة آية لم يُكتب من الغافلين، أو كُتب من القانتين ". (الصحيحة: ٦٤٣) (صحيح الترغيب والترهيب:٦٤٠)

- وأخرج أبو داود وابن خزيمة وابن حبان عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألف آية كُتب من المقنطرين[١] ". (صحيح الترهيب والترغيب:٦٣٩) (صحيح الجامع: ٦٤٣٩)

قال الحافظ ابن حجر:" من سورة " تبارك الذي بيده الملك " إلى آخر القرآن ألف آية والله أعلم ".

- وأخرج الإمام أحمد والنسائي عن تميم الداري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من قرأ بمائة آية في ليلة كُتب له قنوت ليلة[٢] ". (صحيح الجامع ٦٤٦٨) (الصحيحة ٦٤٤)

١٠- قراءة القرآن في قيام الليل خير من نعيم الدنيا الزائل:

-فقد اخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خلفات عظام سمان؟، قلت: نعم، قال:" ثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان ".

قال أبو سليمان:" أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا"

وقال ابن المنكدر-رحمه الله-:" ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، وصلاة الجماعة ".

قال بعض الصالحين:

عجبت من جسم ومن صحةٍ ... ومن فتىً نام إلى الفجر
فالمـــوت لا تؤمن خطفاتُهُ ... في ظلم الليل إذا يسري
من بين منقـــول إلى حفـرةٍ ... يفترش الأعمال في القبر
وبـين مأخـوذٍ علـــى غِـرَّةٍ ... بات طويل الكبر والفخر
عـاجلة المـــوتُ على غفلةٍ ... فمات محسورًا إلى خسر

(التهجد وقيام الليل، لابن أبى الدنيا ص٣٣)

١- من المقنطرين: أي ممن كب لهم قنطار من الأجر.
٢ - كتب له قنوت ليلة: أي عبادتها (قاله المناوي -رحمه الله-)

١١- قيام الليل دليل على صلاح العبد:

- ففي الصحيحين عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: كان الرجل[١] في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رُؤيَا قصها على رسول الله ﷺ فتمنيت أن أرى رويا أقُصها على النبي ﷺ قال: وكنت غلامًا شابًا عزبًا وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيتُ في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار[٢] فإذا هي مطوية[٣] كطي البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر[٤] وإذا فيها ناس قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار قال: فلقيهما ملك فقال لي: لم تُرع[٥]، فقصصتُها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ:" نِعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل" .

قال سالم-رحمه الله-:" فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلًا ".

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في الفتح:٣/١٠:" شاهد الترجمة قوله:" نِعم الرجل عبد الله لو كان يُصلي من الليل " فمقتضاه أن من كان يصلي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل وفي هذا الحديث أن قيام الليل يدفع العذاب ". اهـ.

فائدة:

قال القرطبي-رحمه الله-: إنما فسر الشارع من رؤيا عبد الله ما هو ممدوح لأنه عرض على النار ثم عوفي منها، وقيل له لا روع عليك وذلك لصلاحه، غير أنه لم يكن يقوم من الليل فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقى به النار والدنو منها فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك.

وأخرج أبو داود وابن خزيمة عن عبد الله بن أبي قيس قال: قالت عائشة -رضي الله عنها-:

" لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدًا ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٦٣٢)

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الترمذي والحاكم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ....". (صحيح الجامع: ٤٠٧٩)

١- كان الرجل: إنما ذكر للتغليب، وإلا فالنساء تدخل. "أفاده ابن حجر العسقلاني رحمه الله".
٢- فذهبا بي إلى النار: التقدير: أن يذهبا بي إلى النار فيدخلاني فيها فلما نظرتها فإذا هي مطوية.
٣- فإذا هي مطوية: أي مبنية، والبئر قبل أن تبنى تسمى قليبًا.
٤- قرني البئر: قال النووي رحمه الله "هما الخشبتان اللتان عليهما الخطاف، وهي الحديدة التي في جانب البكرة، قاله ابن دريد. وقال الخليل: هما ما يبنى حول البئر ويوضع عليه الخشبة التي يدور عليها المحور وهي الحديدة التي تدور عليها البكرة ".
٥- لم ترع: أي لم تخف -والمعنى لا خوف عليك بعد هذا، ورواية الجمهور بإثبات الألف" تراع " قال ابن التين: هي لغة قليلة:: أي الجزم بلن.

- قيام الليل سبيل للتقرب من الله - تعالى-:

ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم عن عمرو بن عَبسة﵁ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن "**. (صحيح الترغيب والترهيب: ٦٢٧) (صحيح الجامع: ١١٧٣)

وجوف الليل الأخير أفضل الساعات لمناجاة رب العالمين وهو وقت النزول الإلهي إلى السماء الدنيا لإجابة دعاء السائلين والعفو من المذنبين، وإعطاء السائلين.

كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة﵁ أن رسول الله ﷺ قال: **" ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له "**.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث عمرو بن عبسة﵁ أنه سئل النبي ﷺ في حديث طويل وفيه:

" .....أي الساعات أفضل؟ قال جوف الليل الآخر....". (الصحيحة:٥٥١)

وعند الطبراني في الكبير بلفظ **" أفضل الساعات جوف الليل الأخير"**. (صحيح الجامع:١١٠٦)

وقد مر بنا في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي وفيه أن النبي ﷺ قال: **" عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم ... "**. ***الحديث.***

- ***قال المناوي- رحمه الله- في فيض القدير ٤/٣٥١:*** " وقوله:" **قربة إلى ربكم** " نكر القربة إيذانًا بأن لها شأن ".

- ***وقال رجل للحسن البصري -رحمه الله-:*** " يا أبا سعيد! ما أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من الأعمال؟ قال: ما أعلم شيئًا يتقرب به المتقربون إلى الله أفضل من قيام العبد في جوف الليل إلى الصلاة ". (كتاب التهجد: ص ١٢١)

- ***وفي الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري:*** **" وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه....."**.

١٣- قيام الليل: يجعل الإنسان طيب النفس نشيط:

- فقد اخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم[١] إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان ".

-وعند ابن ماجه بلفظ" يصبح نشيطًا طيب النفس قد أصاب خيرًا، وإن لم يفعل أصبح كسلًا خبيث النفس لم يصب خيرًا ". (صححه الألباني في صحيح ابن ماجه)

-وأخرج ابن خزيمة عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما من ذكر ولا أنثى إلا على رأسه جرير[٢] معقود حين يرقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن قام فتوضأ وصلى انحلت العقد، وأصبح طيب النفس قد أصاب خيرًا ". (صحيح الترغيب والترهيب:٦١٤)

-وأخرج ابن حبان في صحيحه عن جابرﷺ أن النبي ﷺ قال:" ما من مسلم، ذكر ولا أنثى، ينام إلا وعليه جرير معقود، فإن هو توضأ وقام إلى الصلاة أصبح نشيطًا قد أصاب خيرا، وقد انحلت عقده كلها، وإن استيقظ ولم يذكر الله أصبح وعقده عليه، وأصبح ثقيلًا كسلان، ولم يصب خيرًا ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٦٤٨)

- وقوله:" يعقد الشيطان....." قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في" فتح الباري: ٣/٣٠-٣٤"

" كان المراد به الجنس، فاعل ذلك هو القرين أو غيره، ويحتمل أن يراد به رأس الشياطين، وهو إبليس، وتجوز نسبة ذلك إليه لكونه الآمر به الداعي إليه." اهـ.

- وقوله:" قافية رأس أحدكم" قال أبو زرعة الحافظ في" طرح التثريب: ٣/٨٣ ": ذكر صاحب الصحيح والمحكم والمشارق والنهاية: أن القافية: القفا، ثم قال في النهاية: وقيل قافية الرأس: يعني مؤخرة، وقيل وسطه ".

وقال النووي-رحمه الله- في شرح مسلم:" القافية: آخر الرأس، وقافية كل شيء: آخره، ومنه قافية الشعر. وقال ابن بطال- رحمه الله-: القافية: مؤخر الرأس، وفيه العقل والفهم ".

- وقوله" أحدكم " قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-:" وظاهر قوله" أحدكم" التعميم في المخاطبين ومن في معناهم، ويمكن أن يخص منه من تقدم ذكره، ومن ورد في حقه أنه يحفظ من الشيطان كالأنبياء، ومن تناوله - قوله:" إن عبادي ليس لك عليهم سلطان" وكمن قرأ آية الكرسي عند نومه، فقد ثبت أنه يحفظ من الشيطان حتى يصبح.

وقوله:" يضرب على مكان كل عقدة...." أي: بيده على العقدة تأكيدًا وإحكامًا لها قائلًا ذلك، وقيل: معنى يضرب: أي يحجب الحس عن النائم حتى لا يستيقظ، ومنه قوله تعالى" فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ": أي حجبنا الحس أن يلج في آذانهم فينتبهوا.

١- قافية الرأس: مؤخرة، ومنه سمي آخر بيت الشعر: قافية.
٢- جرير: حبل قاله ابن خزيمة رحمه الله.

- ***ثم قال الحافظ:***" وقد اختلف في هذه العقد: **فقيل:** هو على الحقيقة، وأنه كما يعقد الساحر من يسحره، وأكثر من يفعله النساء، تأخذ إحداهن الخيط فتعقد منه عقدة وتتكلم عليه بالسحر، فيتأثر المسحور من ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ وعلى هذا فالمعقود شيء عند قافية الرأس لا قافية الرأس نفسها ".

وقيل: هو المجاز، (كما ذهب إلى هذا ابن عبد البر- رحمه الله-) فكأنه شبه فعل الشيطان بالنائم بفعل الساحر بالمسحور، فلما كان الساحر يمنع بعقده ذلك تصرف من يحاول عقده، كان هذا مثله من الشيطان النائم. **وقيل:** المراد به عقد القلب وتصميمه على الشيء، كأنه يوسوس له بأنه بقي من الليلة بقية طويلة، فيتأخر عن القيام. **وقيل:** العقد كناية عن تثبيط الشيطان للنائم بالقول المذكور "**عليك ليل طويل فارقد**"، ومنه عقدت فلانًا عن امرأته . أي: منعته عنها، أو عن تثقيله عليه النوم كأنه قد شد عليه شدادًا

وقال بعضهم: المراد بالعقد الثلاث: الأكل والشرب والنوم، لأن من أكثر الأكل والشرب كثر نومه (قاله الأثري) واستبعد هذا الإمام الطبراني، لأن الحديث يقتضي أن العقد تقع عند النوم فهي غيره. اهـ.

- وقوله:" **يصبح نشيطًا طيب النفس....**" قال النووي رحمه الله:" معناه لسروره بما وفقه الله الكريم له من الطاعة، ووعده به من ثوابه مع ما يبارك له في نفسه، وتصرفه في كل أموره مع ما زال عنه من عقد الشيطان وتثبيطه". اهـ.

وقال الحافظ -رحمه الله- في" فتح الباري ٣/٣٠-٣٤": والذي يظهر لي أن في صلاة الليل سرًا في طيب النفس وإن لم يستحضر المصلي شيئًا مما ذكر، وكذا عكسه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى" **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلًا** " وقد استنبط بعضهم أن من فعل ذلك مرة ثم عاد إلى النوم لا يعود إليه الشيطان بالعقد المذكور ثانيًا ". اهـ. بتصرف واختصار

وقوله:" **إلا أصبح خبيث النفس**" ***قال النووي- رحمه الله-:*** معناه لما عليه من عقد الشيطان وآثار تثبيطه، واستيلائه مع أنه لم يدل ذلك عليه.

وقال الحافظ ابن حجر:" وقوله خبيث النفس أي: بتركه ما كان اعتاده أو أراده من فعل الخير ".

وقال الحافظ أبو زرعة- رحمه الله-: وقوله "خبيث النفس" أي بشؤم تفريطه وتمام خديعة الشيطان له، " **كسلان** " أي متثاقل عن الخيرات، وربما يحمل ذلك على تضييع الواجبات. اهـ.

تنبيه: ***قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:***" زعم قوم أن قوله" **إلا أصبح خبيث النفس**" يتعارض مع قوله ﷺ:" **لا يقولن أحدكم: خبثت نفسي**" وليس كذلك، لأن النهي إنما ورد عن إضافة المرء ذلك إلى نفسه كراهة لتلك الكلمة، وهذا الحديث وقع ذامًا لفعله ولكل من الحديثين وجه ".

١٤- قيام الليل سبيل النصر على الأعداء:

فها هو النبي ﷺ ليلة بدر تحت شجرة يقيم الليل ويبكي حتى أصبح، فبشره الله تعالى بالنصر

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لقد رأيتنا يوم بدر، وما منا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ ، فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح ...". الحديث وجاءت البشارة بالنصر

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:"... فما زال رسول الله ﷺ يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فخرج رسول الله ﷺ وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾. (القمر:٤٥)

- ولما هُزم الروم أمام المسلمين، قال هرقل ملك الروم لجنوده: ما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظماء الروم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار. (تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٤٣/١)

- وسأل هرقل أحد جنود الروم: أخبرني عن هؤلاء القوم؟، فقال: أخبرك كأنك تنظر إليهم هم فرسان بالنهار، رهبان بالليل، لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربوه حتى يأتوا عليه، فقال هرقل: لئن صدقت ليملكن موضع قدمي هاتين. (البداية والنهاية: ٥٩/٧)

- وقال الصليبيون عن نور الدين محمود زنكي -رحمه الله-: إن القسيم بن القسيم يعنون نور الدين زنكي، له مع الله سر، فإنه لم يظفر وينصر علينا بكثرة جنده وجيشه، وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل، فإنه يصلي بالليل ويرفع يده إلى الله ويدعو، فإنه يستجيب له ويعطيه سؤله فيظفر علينا. (المصدر السابق: ٢٨٣/١٢)

- وكان صلاح الدين الأيوبي يمر على الخيمة، فإذا سمع من فيها يقومون الليل يقول: من هنا يأتي النصر، وإذا وجد خيمة أهلها نائمون، يقول: من هنا تأتي الهزيمة.

- وكذلك ما فعله محمد الفاتح -رحمه الله- فقد كان يتهجد هو وجنوده ليلة فتح القسطنطينية.

رحمة الله على الرعيل الأول

١٥- قيام الليل وقاية من الأمراض والأسقام:

فقد أخرج الترمذي والبيهقي والحاكم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٦٢٤) (صحيح الجامع: ٤٠٧٩)

١٦- قيام الليل وقاية من الفتن:

- ***فقد أخرج البخاري من حديث أم سلمة – رضي الله عنها- قالت:*** " **استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فقال: سبحان الله، ماذا أنزل الليلة من الفتنة؟ ماذا أنزل الليلة من الخزائن؟ من يوقظ صواحب الحُجرات؟ يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة** ".

وفي رواية عند البخاري أيضا" :" **سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟ أيقظوا صواحب الحُجر- يريد أزواجه – حتى يصلين، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة[١]** ".

(صحيح الجامع: ٣٥٩٩)

وفي الحديث تنبيه على أن الصلاة بالليل تقي من الفتن، وقد ذكر البخاري -رحمه الله- هذا الحديث في باب" تحريض النبي ﷺ على قيام الليل من غير إيجاب.

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في الفتح: ٣/١٤":" قال ابن رشد-رحمه الله-: كان البخاري فهم أن المراد بالإيقاظ: الإيقاظ للصلاة لا لمجرد الإخبار بما أنزل، لأنه لو كان لمجرد الإخبار لكان يمكن تأخيره إلى النهار، لأنه لا يفوت ". اهـ.

ويدل على هذا قوله ﷺ:" **من يوقظ صواحب الحجر – يريد أزواجه- حتى يصلين** ".

-وفي الحديث إيقاظ الرجل أهله بالليل للعبادة ولا سيما عند نزول آية (شرح السنة: ٤/٣٤)

- ***وأخرج البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب*** ﷺ: **أن رسول الله ﷺ طرقه[٢] وفاطمة ليلة، فقال:" ألا تصليان"؟، فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا[٣]، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئًا، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه[٤]وهو يقول: وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا** ".

(الكهف: ٥٤)

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في" الفتح: ٣/١٥": " قال ابن بطال: فيه فضيلة صلاة الليل وإيقاظ النائمين من الأهل والقرابة لذلك قال الطبري: لولا ما علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكنًا، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون امتثالًا لقوله تعالى: **(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى)** (طه: ١٣٢) اهـ.

١٧- قيام الليل فرصة لمراجعة القرآن، وتذكر ما تفلت منه:

فقد أخرج ابن نصر في " قيام الليل" من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" **إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإن لم يقم به نسيه** ". (الصحيحة:٥٩٧)

١- وقوله رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة: يقول ابن الأثير كما في جامع الأصول في أحاديث الرسول: ٦/٦٨: هذا كناية عما يقدمه الإنسان لنفسه من الأعمال، يقال: رب غني في الدنيا لا يفعل خيرًا، وهو فقير في الآخرة ورب مكسي في الدنيا ذي ثروة ونعمة عاد في الآخرة شقي."

٢- طرقه: والطرق هو الإتيان في الليل" أفاده النووي."

٣- بعثنا: المقصود أيقظنا.

٤- يضرب فخذه كناية عن عدم موافقة النبي ﷺ على الاعتذار الذي اعتذر به علي، وتعجبه من سرعة جوابه.

١٨- قيام الليل مفتاح لأبواب الخير:

-وأخرج الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي عن معاذ بن جبل ﷺ قال:

" قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، فقال ﷺ لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . (السجدة:١٦-١٧) (صحيح الجامع: ٥١٣٦) (صحيح ابن ماجه: ٣٢٠٩)

وأي دعوة تريد أن تستقيم إلى الله فعليها أن تدلف من باب الاستقامة وبابها المحراب.

(الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص ١٥)

يقول عطاء الخرساني-رحمه الله-:" كان يُقال: قيام الليل محياه للبدن، ونور في القلب، وضياء في البصر، وقوة في الجوارح، وإن الرجل إذا قام من الليل متهجدًا أصبح فرحًا يجد لذلك فرحًا في قلبه، وإذا غلبته عيناه فنام عن جزئه أصبح حزينًا منكسر القلب كأنه قد فقد شيئًا، وقد فقد أعظم الأمور له نفعًا".

(مختصر قيام الليل ص ٥٤) (كتاب التهجد ص ١٢٧)

١٩- قيام الليل لإحراز الشرف الحقيقي:

- فقد أخرج الحاكم في المستدرك والبيهقي عن سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال:" **أتاني جبريل فقال: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ٦٢٧) (صحيح الجامع: ٧٣) (والصحيحة: ٨٣١)

- وفي رواية عند الخطيب البغدادي" **شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزه استغناؤه عما في أيدي الناس ".** **(الصحيحة: ١٩٠٣) (صحيح الجامع: ٣٧١٠)**

قال المناوي-رحمه الله- في" فيض القدير: ٤/ ١٦٠": الشرف لغة: العلو، وشرف كل شيء أعلاه، لما وقف (العبد) في ليلة وقت صفاء ذكره متذللًا متخشعًا بين يدي مولاه لائذًا بعز جنابه وحماه، شرفه بخدمته ورفع قدره عند ملائكته وخواص عباده بعز طاعته على ما سواه. اهـ.

ثم قال المناوي في موضع آخر من" فيض القدير: ١/ ١٠٢ ": " قال الغزالي -رحمه الله-: جمعت هذه الكلمات حكم الأولين والآخرين، وهي كافية للتأمل فيها طول العمر اذ لو وقف على معانيها وغلبت على قلبه غلبة يقين استغرقته وحالت بينه وبين النظر إلى الدنيا بالكلية والتلذذ بشهواتها، قد أوتي المصطفيﷺ جوامع الكلم، وكل كلمة من كلماته بحر من بحور علوم الحكمة. اهـ.

وقال وهب بن منبه-رحمه الله-:" قيام الليل يشرف به الوضيع ويعز به الذليل، وصيام النهار يقطع صاحبه عن الشهوات، وليس للمؤمن راحة دون دخول الجنة ". **(كتاب التهجد لابن أبي الدنيا ص ١٣٢)**

٢٠- يتعجب الله تعالى ممن يقوم الليل، ويباهي به الملائكة:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال:" عجب ربنا من رجلين: رجل ثار[١]عن وطائه[٢] ولحافه، من بين أهله وحبه[٣] إلى صلاته فيقول الله جل وعلا: أيا ملائكتي[٤] انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته، رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي. ورجل غزا في سبيل الله وانهزم أصحابه وعلم ما عليه في الانهزام، وما له في الرجوع، فرجع حتى يُهْرِيقَ دمه فيقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي وشفقة مما عندي حتى يهريق دمه". (صحيح الترغيب والترهيب: ٦٣٠) (صحيح الجامع: ٣٩٨١)

فيا له من عمل جليل عظيم، يعجب ربك من رجاله.

-وأخرج الطبراني في الكبير عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:" ألا إنَّ الله يضحك إلى رجلين: رجل قام في ليلة باردة من فراشه ولحافه ودثاره، فتوضأ، ثم قام إلى الصلاة، فيقول الله -عز وجل- لملائكته: ما حمل عبدي هذا على ما صنع؟ فيقولون: ربنا رجاء ما عندك، وشفقة مما عندك، فيقول: فإني قد أعطيته ما رجا، وأمنته مما يخاف ". (قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٥٧/٢ اسناده حسن)

- وجاء في كتاب الزهد للإمام أحمد عن الحسن البصري-رحمه الله- أنه قال:" إذا قام العبد ساجدًا باهى الله به الملائكة يقول: انظروا إلى عبدي يعبدني وروحه عندي وهو ساجد".

٢١- قيام الليل سبيل لإجابة الدعاء:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان عن عقبة بن عامر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" الرجل من أمتي يقوم من الليل يعالج نفسه إلى الطهور، وعليه عقد، فإذا وضأ يديه انحلت عقدة، وإذا وضأ وجهه انحلت عقدة، وإذا مسح رأسه انحلت عقدة، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة، فيقول الله -عز وجل- للذين من وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه يسألني، ما سألني عبدي هذا فهو له ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٦٣١)

-وأخرج الطبراني في الأوسط عن عثمان بن أبي العاص ﷺ عن النبي ﷺ قال:" تفتح أبواب السماء نصف الليل، فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرج عنه؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله تعالى له، إلا زانية تسعى بفرجها أو عشارًا[٥] ".

(صحيح الجامع: ٢٩٧١) (الصحيحة ١٠٧٣)

وقد سئل عمرو بن قيس الملائي عن قول يعقوب-عليه السلام-لأولاده:" **سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي**" (يوسف:٩٨) قال: أي في صلاة الليل. (تفسير ابن جرير الطبري: ٦٥/١٣) (كتاب التهجد لابن أبي الدنيا ص ٤٠٥)

١- ثار: أي نهض ووثب.
٢- وطائه: الوطاء هو الفراش اللين، وهو بخلاف الغطاء.
٣- حبه: بكسر الحاء: أي حبيبه.
٤- أيا ملائكتي: هذه زيادة مسند الإمام أحمد، وصحيح ابن حبان.
٥- عشارًا: الذي يجبي الضرائب.

٢٢- قيام الليل سبب للفوز بمحبة الله- تعالى-:

فقد مر بنا في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري: " وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه.. ".

-وأخرج الطبراني في الكبير بسند حسن عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال:" ثلاثة يحبهم الله ويضحك[١] إليهم، ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة[٢] قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل. فإما أن يقتل، وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه، والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن، فيقوم من الليل فيقول: يذر شهوته[٣]، ويذكرني ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر، وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا، فقام من السحر في ضراء وسراء ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٦٢٩) (الصحيحة: ٣٤٧٨)

-وعند الإمام أحمد من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ثلاثة يحبهم الله ﷻ وثلاثة يشنؤهم الله ﷻ: الرجل يلقى العدو في فئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه، والقوم يسافرون فيطول سُراهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض فينزلون، فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم، والرجل يكون له الجار يؤذيه جاره، فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن، والذين يشنؤهم الله: التاجر الحلاف والفقير المختال، والبخيل المنان" (صحيح الجامع: ٣٠٧٤)

-وفي رواية:" ثلاثة يحبهم الله.... فذكر منهم: ... ورجل سافر مع القوم فارتحلوا حتى إذا كان من آخر الليل وقع عليهم الكرى- أو النعاس – فنزلوا، فضربوا برؤوسهم، ثم قام فتطهر وصلى رغبة لله ﷻ ورغبة فيما عنده ".

نفس المحب إلى الحبيب تطلّع ... وفؤاده من حبه يتقطع
عز الحبيب إذا خلا في ليلة ... بحبيبه يشكو إليه ويضرع
وقام في المحراب يشكو بثه ... والقلب منه إلى المحبة ينزع

١- هناك بشارة في هذا الحديث حيث قال رسول الله ﷺ " إذا ضحك الله إلى العبد فلا حساب عليه". (رواه الإمام أحد وأبو يعلى).
٢- انكشفت فئة: أي ظهرت عليها بوادر الهزيمة.
٣- يذر شهوته: أي شهوة النوم، وشهوة الزوجة.

٢٣- قيام الليل سبب للتعرض وقت نزول الرب سبحانه وتعالى، ووقت إجابة الدعاء:

فقد أخرج الإمام مسلم عن جابر ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة ".

قال المناوي- رحمه الله- في" فيض القدير:٢/٤٧١-٤٧٢":

وقوله " **إن في الليل لساعة** " نكرها حث على طلبها بإحياء الليالي، وذلك المذكور يحصل كل ليلة فلا يختص ببعض الليالي بل كائن في جميعها، قيل: تلك الساعة في الثلث الأخير، الذي يقول الله من يدعوني فأستجيب له[1]؟وقيل: وقت السحر، وقيل: مطلقة، وجزم الغزالي بأنها مبهمة في جميع الليالي كليلة القدر في رمضان، وحكمة إبهامها توفير الدواعي على مراقبتها، والاجتهاد في الدعاء في جميع ساعات الليل كما قالوا في إبهام ليلة القدر. اهـ.

- وقد مرينا الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير عن عمرو بن عبسة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أفضل الساعات جوف الليل الأخير". (صحيح الجامع: ١١٠٦) (الصحيحة:٥٥١)

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟".

قال النووي- رحمه الله- في" شرح مسلم: ٢/٤٠٦":

" فيه إثبات ساعة الإجابة في كل ليلة، ويتضمن الحث على الدعاء في جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها ". اهـ.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ قال:" ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأول، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن ذا يسألني فأعطيه؟ ومن ذا يستغفرني فأغفر له؟".

-وأخرج الإمام مسلم وأحمد عن أبي سعيد وأبي هريرة- رضي الله عنهما- عن رسول الله ﷺ:

"إن الله تعالى يُمهل حتى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى السماء الدنيا فنادى: هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من داع؟ حتى يتفجر الفجر".

١- قوله" فأستجيب" : قال الحافظ: ليست السين للطلب بل أستجيب بمعنى أجيب .

٢٤- قيام الليل سبب لقرب الملائكة من المصلي، واستماعهم لقراءته:

- ***فقد اخرج البزار بسند جيد من حديث علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ***:" **إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي، قام الملك خلفه، فسمع لقراءته، فيدنو منه- أو كلمة نحوها- حتى يضع فاه على فيه، وما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك، فطهروا أفواهكم للقرآن** ". (الصحيحة: ١٢١٣)

والمقصود بصلاة العبد في هذا الحديث هي: صلاة الليل كما جاء ذلك مفسرًا في أحاديث أخرى منها. ***ما أخرجه محمد بن نصر في" الصلاة "عن ابن شهاب قال: قال رسول الله ﷺ***:" **إذا قام الرجل يتوضأ ليلًا أو نهارًا فأحسن الوضوء واستن، ثم قام فصلى أطاف به الملك ودنا منه، حتى يضع فاه على فيه، فما يقرأ إلا في فيه، وإذا لم يستن أطاف به، ولا يضع فاه على فيه** ". (صحيح الجامع: ٧٢٣)

- ***وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ***:" **إذا قام أحدكم يصلي[١] من الليل فليستك[٢]، فإن أحدكم إذا قرأ في صلاته وضع ملك[٣] فاه على فيه، ولا يخرج من فيه شيء إلا دخل فم الملك** ". (صحيح الجامع: ٧٢٠)

- فانظر رحمك الله إلى حرص الملائكة واعتناء الملأ الأعلى باستماع القرآن من البشر، فاجتماع شرف القرآن وشرف الصلاة والسواك يزيد دنو الأرواح القدسية، وفي هذا من الفيوض الرحمانية ما فيه، وانظر رحمك الله كيف دنت الملائكة من أُسيد بن حُضير وهو قائم في الليل يتلو القرآن

- ***فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ*** **أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده إذ جالت فرسه فقرأ، ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أيضًا. قال: أسيد فخشيت أن تطأ يحيى، فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي فقال رسول الله ﷺ:"اقرأ ابن حُضير". قال: فقرأت ثم جالت أيضًا فقال رسول الله ﷺ:" اقرأ ابن حُضير". قال: فانصرفت، وكان يحيى قريبًا منها فخشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيه أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها فقال رسول الله ﷺ: تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبح يراها الناس ما تستتر منهم** ".

- ***وفي رواية البخاري:" تلك الملائكة دنت لصوتك***". وصرح في رواية بأن السورة كانت سورة البقرة.

- انظر رحمك الله إلى هذا الحديث الطيب المبارك. وكأني برسول الله ﷺ استحضر صورة الحال فصار كأنه حاضر عنده لما رأى ما رأى فكأنه يقول: استمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول السكينة والملائكة واستماعها لقراءتك، وفهم أسيد ذلك فأجاب بعذره في قطع القراءة وخوفه أن تطأ الفرس يحيى.

١- وقوله:" إذا قام أحدكم يصلي": قال المناوي -رحمه الله- أي: إذا أراد القيام، كقوله تعالى: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) عبر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها للإيجاب.

٢- فليستك أي: يستعمل السواك.

٣- وقوله" وضع ملك" يحتمل أن المراد به كاتب الحسنات ويحتمل غيره. أهـ (فيض القدير: ٤١٢/١)

٢٥- قيام الليل سبيل للبعد عن المعاصي:

-فقد أخرج الإمام أحمد والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة ﷺ قال: " جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن فلانًا يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق فقال النبي ﷺ: إنه سينهاه ما تقول ".

(صححه الألباني في المشكاة: ١٢٣٧)

- وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن خزيمة عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم ".

- وفي رواية:" عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٦٢٤) (صحيح الجامع: ٤٠٧٩)

٢٦- قيام الليل سبب لتكفير الذنوب ومحو السيئات:

-فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ ان النبي ﷺ قال:" من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له من تقدم من ذنبه ".

- وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن خزيمة عن أبي أمامة الباهلي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:" عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، وفي رواية: وتكفير للسيئات . ومنهاة عن الإثم ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٦٢٤) (صحيح الجامع: ٤٠٧٩)

قال المناوي في فيض القدير: ٤/٣٥١:" قال ابن الحاج – رحمه الله– وفي القيام من الفوائد أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق الجاف من الشجرة، وينور القبور ويحسن الوجه ويذهب الكسل، وينشط البدن، وترى الملائكة موضعه من السماء كما يتراءى الكوكب الدري لنا من السماء ط. اهـ.

٢٧- قيام الليل سبيل لتحصيل الأجور وكسب الحسنات:

فقد أخرج الطبراني عن فضالة عن عبيد وتميم الداري –رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ قال: "من قرأ عشر آيات في ليلة كتب له قنطار [من الأجر]، والقنطار خير من الدنيا وما فيها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك ﷻ له: اقرأ وارق بكل آية درجة حتى ينتهي بهذه آخر آية معه، يقول الله ﷻ للعبد: اقبض، فيقول العبد بيده: يا رب! أنت أعلم. فيقول: بهذه الخلد، وبهذه النعيم ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٦٣٨)

ومما يدلك على أن قيام الليل سبيل لتحصيل الأجور:

- ما رواه الطبراني في الكبير عن طارق بن شهاب أنه بات عند سلمان لينظر ما اجتهاده، قال: فقام يصلي من آخر الليل، فكأنه لم ير الذي كان يظن، فذكر ذلك له، فقال سلمان ﷺ: حافظوا على هذه الصلوات الخمس، فإنهن كفارات لهذه الجراحات ما لم يصب المقتلة، فإذا صلى الناس العشاء صدروا على ثلاث منازل: منهم من عليه ولا له، ومنهم من له ولا عليه، ومنهم من لا له ولا عليه،

فرجل اغتنم ظلمة الليل في غفلة الناس، فركب فرسه في المعاصي، فذلك عليه ولا له، ومن له ولا عليه: فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس، فقام يصلي من ذلك له ولا عليه، ومنهم من لا له ولا عليه: فرجل صلى [أي العشاء] ثم نام، فذلك لا له ولا عليه، وإياك و الحقحقة[1]، وعليك بالقصد[2] وَدَاوِمْهُ ". (قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ٦٣٣: صحيح موقوفًا)

٢٨- قيام الليل يهون من طول القيام في عرصات يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر: ٩)

قال ابن عباس ﷺ:" من أحب أن يهون الله عليه طول الوقوف يوم القيامة، فليره الله في ظلمة الليل ساجدًا أو قائمًا يحذر الآخرة. (تفسير ابن جرير الطبري ٢٣/٢٠٠)

وقال الأوزاعي -رحمه الله-:" من أطال القيام في صلاة الليل، هون الله عليه طول القيام يوم القيامة" . (البداية والنهاية لابن كثير: ٣/١١٧)

- ***وقال الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في كتاب الفوائد:*** " للعبد بين يدي الله موقفين: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف **قال تعالى:** ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (الإنسان ٢٦-٢٧). اهـ.

- فالجزاء من جنس العمل.. فمن عرف بقيام الليل متهجدًا قانتًا قد طال وقوفه هون الله عليه قيامه في عرصات القيامة..

-***وقد جاء في كتاب صفة الصفوة: ٤/٤٣:*** امرأة أبي عمران الجوني كانت تعصب ساقيها بالخرق من طول قنوتها وقيامها فيقول لها أبو عمران الجوني: دون هذا يا هذه فتقول: هذا عند طول القيام في الموقف قليل، فيسكت عنها ط.

٢٩- قيام الليل يشفع للعبد يوم القيامة:

- ***فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: رسول الله*** ﷺ:" الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان ". (صحيح الجامع: ٣٨٨٢)

١- الحقحقة: بحاءين مهملتين مفتوحتين وقافين، الأولى ساكنة والثانية مفتوحة: هو أشد السير، وقيل هو أن يجتهد في السير ويلح فيه حتى تعطب راحلته أو تقف وقيل غير ذلك.

٢- القصد: التوسط، والمقصود أن تقيم من الليل بقدر لا يرهقك.

٣٠- قيام الليل نجاة من النار:

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال:

كان الرجل[١] في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي ﷺ قال: وكنت غلامًا شابًا عزبًا وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار[٢]، فإذا هي مطوية[٣] كطي البئر، وإذا لها قرنان– يعني كقرني البئر[٤]– وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار، قال: فلقيهما ملك آخر فقال لى: لم ترع[٥]، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل، قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلا ".

قال الحافظ بن حجر– رحمه الله– في " فتح الباري:٣/١٠": **وقوله:" نِعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل "** فمقتضاه أن من كان يصلي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل. اهـ.

وقد جاء في رواية في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: **" إن عبد الله رجل صالح لو كان يكثر الصلاة من الليل".**

وقال القرطبي–رحمه الله–: " إنما فسر النبي ﷺ من رؤيا عبد الله ما هو ممدوح، لأنه عرض على النار ثم عوفي منها، وقيل: له لا روع عليك، وذلك لصلاحه، غير أنه لم يكن يقوم من الليل فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقى به النار والدنو منها، فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك ".

وقال أبو الجكني اليوسفي الشنقيطي –رحمه الله– في كتابه زاد المسلم: ٣/٤٤٠: وفي هذا الحديث أن قيام الليل يدفع العذاب. اهـ.

قال ابن المبارك – رحمه الله–:

إذا ما الليـل أظلم كابـدوه فيسفر عنهم وهـم ركـوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وقال بعضهم:

منـع القـرآن بوعـده ووعيـد مقل العيون فليلتها لا تهجع
فهموا عن الملك الجليل كلامه فهما تذل له الرقاب وتخضع

١- كان الرجل: إنما ذكر للتغليب وإلا فالنساء تدخل (أفاده ابن حجر العسقلاني –رحمه الله-)
٢- فذهبا بي إلى النار: والتقدير: أن يذهب بي إلى النار فيدخلاني فيها فلما نظرتها فإذا هي مطوية.
٣- فإذا هي مطوية: أي مبنية، والبئر قبل أن تبنى تسمى قليبًا.
٤- قرني البئر: قال النووي –رحمه الله-: هما الخشبتان اللتان عليهما الخطاف وهي الحديدة التي في جانب البكرة (قاله أبو دريد) وقال الخليل: هما ما يبنى حول البئر ويوضع عليه الخشبة التي يدور عليها المحور وهي الحديدة التي تدور عليها البكرة.
٥- لم ترع: أي: لم تخف والمعنى لا خوف عليك بعد هذا، ورواية الجمهور بإثبات الألف. تراع": قال ابن القيم: وهي لغة قليلة- أي: الجزم بلن.

يقول عبد الرحمن بن يزيد بن جابر:" كنا نغزو مع عطاء بن ميسره الخراساني، فكان يحيى الليل صلاة، فإذا ذهب من الليل ثلثه أو نصفه نادانا وهو في فسطاطه يسمعنا: يا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، ويا يزيد بن يزيد، ويا هشام بن الغاز، ويا فلان، ويا فلان، قوموا وتوضئوا وصلوا، فإن قيام هذا الليل، وصيام هذا النهار، أيسر من شراب الصديد ومقطعات الحديد، الوحا... الوحا.... النجا... النجا، ثم يقبل على صلاته ".

٣١- قيام الليل سبيل لدخول الجنة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات:١٥-١٩)

وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة:١٦-١٧)

جاء في مستدرك الحاكم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: مكتوب في التوراة لقد أعد الله للذين تتجافي جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ولا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، قال: ونحن نقرأها ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس.

- ***وأخرج الإمام أحمد الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سلام ﷺ قال:*** " أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة، انجفل الناس إليه[١] فكنت فيمن جاءه، فلما تأملت وجهه وفي رواية واستثبته[٢] ***وفي رواية:*** واستبنته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذَّاب، قال: وكان أول ما سمعت من كلامه أن قال:" أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس؛ نيام تدخلوا الجنة بسلام ". (صحيح الترغيب والترهيب:٦١٦-٩٤٩) (صحيح الجامع:٧٨٦٥)

- ***وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :*** " أطب الكلام، وأفش السلام، وصِلِ الأرحام، وصلي بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام ".

(صحيح الجامع: ١٠١٩) (الصحيحة:٥٦٩)

١- انجفل الناس: أي ذهبوا إليه بأجمعهم مسرعين.
٢- استثبته: أي تحققته، وتبينته.

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الترمذي عن معاذ بن جبل ﷺ قال: **" كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير فقلت: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار. قال: لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير، الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، قال: ثم تلا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروه سنامه .... ". *الحديث***

– ***كان عبد العزيز بن أبى روّاد يُفرش له الفراش فيضع يده عليه ويقول:*** " ما أليِنك، ولكن فراش الجنة ألين منك، ثم يقوم إلى صلاته، فلا يزال يصلى حتى الفجر".

ومما يدل على أن قيام الليل رفعة في الدرجات، أن أهل يسكنون غرف الجنة، وهي في الأعالي

– ***فقد أخرج الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك من حديث عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ قال:*** **في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فقال أبو مالك الأشعري ﷺ لمن هي يا رسول الله؟، قال:" لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائمًا والناس نيام".** (صحيح الترغيب والترهيب: ٦١٧)

–***وأخرج الإمام أحمد وابن حبان عن أبي مالك الاشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال:*** **"إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها؛ أعدها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام[1]، وصلى بالليل والناس نيام".** (صحيح الجامع: ٢١٢٣)

– ***وفي رواية:*** **" أعدها الله لمن أطعم الطعام وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ٦١٨)

وهذه الغرف في أعالي الجنة يسكنها من يقومون الليل.

– ***فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :*** **"إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة، كما تراءون الكواكب في السماء ".**

١- تابع الصيام: أي أكثر منه بعد الفريضة بحيث تابع بعضها بعضًا ولا يقطعها رأسًا، وقيل أقله أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام،(تحفة الأحوذي ١١٩/٦)

٣٢- قيام الليل يُرفع به العبد درجات في الجنة:

قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) . . . إلى قوله: أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (الفرقان:٦٣-٧٦)

وقوله: ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾: أي الدرجة العليا في الجنة.

- *وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:*

" أتاني الليلة ربي- وفي رواية-: رأيت ربي في أحسن صورة، فقال لي: يا محمد، قلت: لبيك ربي وسعديك، قال: هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟، قلت: لا أعلم. فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي - أو قال-: في نحري، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض- أو قال: ما بين المشرق والمغرب، قال: يا محمد، أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟، قلت: نعم، في الكفارات والدرجات والكفارات: المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء على المكاره، قال: صدقت يا محمد، ومن فعل ذلك عاش بخير، ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقال: يا محمد، إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وتتوب علي، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، والدرجات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام ".

(صحيح الترغيب: ١٩٤) (صحيح الجامع: ٥٩)

-*وأخرج الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:* " ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات، فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله تعالى في السر والعلانية، وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام ". (صحيح الجامع ٣٠٤٥) (السلسلة الصحيحة: ١٨٠٢)

وقوله:" والصلاة بالليل والناس نيام ". *قال المناوي-رحمه الله- في فيض القدير:* أي التهجد في جوف الليل حال غفلة الناس واستغراقهم في لذة النوم، وذلك هو وقت الصفا، وتنزلات غيث الرحمة ".

وأخيراً: فثواب القيام لا تحيط به العقول، وتقصر عنه العبارات

ومن هنا نعلم معنى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"لا حسد إلا في اثنتين: رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالًا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار".

-والمقصود بالحسد هنا: هو الحسد المحمود، وهو ما يطلق عليه الغبطة، وهي تمني مثل ما للمغبط، فإن كان المغبط على حالة محمودة كما في الحديث السابق هو تمنى محمود يثاب عليه ويؤجر.

- أما الحسد المذموم فهو: تمني زوال النعمة عن المحسود، وهذا حرام.

-وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **" لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل أتاه الله مالًا، فهو يهلكه في الحق، فقال: رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل ".**

- وأخرج الطبراني في الكبير عن سمرة بن جندب ﷺ قال: **كان النبي ﷺ يقول:" ليس في الدنيا حسد إلا في اثنتين: الرجل يغبط الرجل أن يعطيه الله المال الكثير فينفق منه فيكثر النفقة، يقول الآخر: لو كان لي مال لأنفقت مثل ما ينفق هذا وأحسن، فهو يحسده، ورجل يقرأ القرآن فيقوم الليل، وعنده رجل إلى جنبه لا يعلم القرآن فهو يحسده على قيامه، أو على ما علمه الله ﷻ، القرآن فيقول: لو علمني الله مثل هذا لقمت مثل ما يقوم".** (صحيح الترغيب والترهيب: ٦٣٤)

- قال المنذري -رحمه الله- في الترغيب والترهيب: والمراد بالحسد هنا: الغبطة، وهي تمني مثل ما للمغبط، وهذا لا بأس به، وله نيته، فإن تمنى زوالها عنه فذلك حرام، وهو الحسد المذموم. اهـ.

-وأخرج الطبراني في الكبير عن يزيد بن الأخنس وكانت له صحبة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"لا تنافس إلا في اثنتين: رجل أعطاه الله قرآنًا فهو يقوم به آناء الليل والنهار، فيقول رجل: لو أن الله أعطاني ما أعطى فلانًا فأقوم به كما يقوم، ورجل أعطاه الله مالًا فهو ينفق منه ويتصدق، فيقول رجل مثل ذلك". (صحيح الترغيب والترهيب: ٦٣٦)

قال ابن المنكدر-رحمه الله-: " ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، وصلاة الجماعة ".

وقال أبو سليمان -رحمه الله-: " أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا ".

فضل من بات طاهراً:

فقد أخرج ابنُ حبانَ عن ابن عمرَ – رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: **" من بات طاهرًا بات في شعاره[1] ملك، فلا يستيقظ إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلانًا فإنه بات طاهرًا ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ٥٩٧)

–وأخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه عن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" ما من مسلم يبيت طاهرًا فيتعار[2] من الليل فيسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه ".**

(لصحيحة:٣٢٨٨) (صحيح الجامع: ٥٧٥٤) (صحيح أبو داود: ٥٠٤٢)

–وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال:

" طهروا هذه الأجساد طهرّكم اللهُ، فإنه ليس من عبد يبيتُ طاهرًا إلا بات معه في شعاره مَلَك، لا يتقلب ساعة من الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهرًا ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٥٩٩) (صحيح الجامع: ٣٩٣٦)

قال المناوي– رحمه الله– في" فيض القدير ٢٧١/٤": والطهارة عند النوم قسمان: طهارة الظاهر وهي معروفة، وطهارة الباطن وهي: بالتوبة وهي أكبر من الظاهرة فربما مات في نومه وهو متلوث بأوساخ الذنوب فيتعين عليه التوبة وأن يزيل من قلبه كل غش وحقد ومكروه لكل مسلم ". اهـ.

– وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث أنس ﷺ قال: **" كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوءه[3]، وقد تعلق نعليه في يديه الشمال.... وفي الحديث أنه قال:".... لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه ...". *الحديث***

فضل من يقول هذه الكلمات إذا استيقظ من الليل:

أخرج البخاري وأبي داود والترمذي عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" من تعارّ من الليل فقال:" لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، والحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله"، ثم قال:" اللهم اغفر لي"، أو دعا، أستجيب له، فإن توضأ ثم صلى قبلت صلاته ".

١- شعاره: والشعار هو: ما يلي بدن الإنسان من ثوب وغيره.
٢- تعارّ: بتشديد الراء: أي إذا استيقظ.
٣- تنطف لحيته: أي يتساقط منها الماء.

قال الحافظ بن حجر–رحمه الله– في" فتح الباري: ٣/ ٥٠ ":"وقال ابن القيم –رحمه الله–: إن معنى تعار: أي استيقظ، لأنه قال: "من تعار"، فقال: فعطف القول على التعار. وقال ابن بطال– رحمه الله–: وعد الله على لسان نبيه ﷺ أن من استيقظ من نومه لهجًا بتوحيد ربه والإذعان له بالملك، والاعتراف بنعمه بحمده عليها وينزهه عما لا يليق به بتسبيحه والخضوع له بالتكبير والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بعونه، أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قبلت صلاته، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به ويخلص نيته لربه سبحانه وتعالى، وقال أبو عبد الله الفربري الراوي عن البخاري: أجريت هذا الذكر على لساني عند انتباهي ثم نمت فأتاني آتٍ فقرأ ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾. اهـ.

فضل من نوى قيام الليل فغلبته عينه حتى أصبح:

أخرج النسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" من أتى فراشه، وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل، فغلبته عينه حتى أصبح، كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه". (صحيح الترغيب والترهيب: ٦٠٢) (صحيح الجامع: ٥٩٤١)

–وعند ابن حبان ابن خزيمة عن أبي ذر أو أبي الدرداء – شك شعبة– قال: قال رسول الله ﷺ:

" ما من عبد يُحدثُ نفسه بقيام ساعةٍ من الليل فينامُ عنها، إلا كان نُومه صدقةً تصّدق الله بها عليه، وكَتَبَ له أجر ما نوى ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٦٠١)

–وأخرج الإمام مالك وأبو داود والنسائي عن عائشة – رضي الله عنها–أن رسول الله ﷺ قال:

" ما من امرئ تكون له صلاة بليل فيغلبه عليها نوم إلا كتب الله أجر صلاته، وكان نومه عليه صدقة " . (صحيح الترغيب والترهيب: ٦٠٠) (صحيح الجامع: ٥٦٩١)

– يقول العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق آبادي – رحمه الله– في كتابه" عون المعبود شرح سنن أبي داود: ٤/ ١٩٩ ": وقول النبي ﷺ:" **إلا كتب له أجر صلاته** " يفيد أنه يكتب له الأجر وإن لم يقض، فما جاء من القضاء فللمحافظة على العادة ولمضاعفة الأجر. والله أعلم. اهـ.

– وقال الإمام أبو الوليد الباجي –رحمه الله– في كتابه" المنتقى: ١/ ٢١١ " وقوله" **إلا كتب له أجر صلاته**" يريد الصلاة التي اعتادها ويحتمل ذلك عندي وجوهًا: أحدهما: أن يكون له أجرها غير مضاعف، ولو عملها لكان أجرها مضاعف، لأنه لا خلاف أن الذي يصليها أكمل حالًا، ولذلك قال ﷺ لعلي وفاطمة: " **ألا تصليان ؟!" فلما قال له علي ﷺ: إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثها بعثها. خرج رسول الله ﷺ يضرب فخذه ويقول: " وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا** ".

ويحتمل أن يريد أن له أجر من تمنى أن يصلي مثل تلك الصلاة. ولعله أراد أجر تأسفه على ما فاته منها اهـ.

فضل من نام عن ورده بالليل فقضاه بالنهار:

-فقد أخرج الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من نام عن حزبه[1] أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر، وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل".

تنبيه:

من فاته قيام الليل لعذر فليصله في وقت الضحى شفعًا.

ودليل ذلك ما رواه الإمام مسلم من حديث عائشة – رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ كان إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة ".

فمن كان يقيم صلاة الليل بخمس ركعات صلّاهن ستًا..... وهكذا

فضل قيام رمضان:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال:" من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ".

قال الخطابي -رحمه الله-:" وقوله:" إيمانًا واحتسابًا" أي نية وعزيمة، وهو أن يصومه على التصديق والرغبة في ثوابه طيبة بها نفسه غير كارهة له ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب. اهـ.

وقال البغوي -رحمه الله-:" قوله:" احتسابا" أي طلب لوجه الله تعالى وثوابه، يقال: فلان محتسب الأخبار يتطلبها ".

فضل قيام ليلة القدر:

١- قيام ليلة القدر أفضل من عبادة ألف شهر

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر: ١-٥)

٢- قيام ليلة القدر غفران للذنوب المتقدمة

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ... ". الحديث

١- حزبه: أي ورده من قيام الليل.

الترهيب من ترك قيام الليل:

- ***أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:*** **" ذُكِرَ عند النبي ﷺ رجل نام ليلةً حتى أصبح، قال:" ذاك رجلٌ بالَ الشيطانُ في أذنهِ أو قال: في أذنيه ".**

وقوله " **نام ليلة حتى أصبح** " قال الحافظ: يراد به صلاة الليل أو المكتوبة"

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: **" حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان في أذنه ".** (قال الحافظ في الفتح: ٣/٣٥ موقوف صحيح الإسناد)

- وقد اختلف أهل العلم في بول الشيطان هل هو على الحقيقة أم على المجاز؟

فذهب البعض إلى أنه على الحقيقة.

حيث قال القرطبي – رحمه الله-: لا مانع من ذلك، إذ لا إحالة فيه لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح، فلا مانع أن يبول.

وكان الحسن- رحمه الله- يقول: " إن بوله والله لثقيل ".

وقيل: إن بول الشيطان على المجاز: ومعناه: أن الشيطان استولى عليه، واستخف به حتى اتخذه كالكنيف المعد للبول، إذا من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه.

وقيل: هو مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم فمن وقع البول في أذنه فثقل أذنه، وأفسد حسه.

وقال الطيبي-رحمه الله-: خص الأذن بالذكر وإن كانت العين أنسب للنوم إشارة إلى ثقل النوم، فإن المسامع هي موارد الانتباه، وخص البول، لأنه أسهل مدخلًا في التجاويف، وأسرع نفوذًا في العروق فيورث الكسل في جميع الأعضاء. (فتح الباري: ٣/٣٥)

وأخرج ابن حبان في صحيحه والبيهقي في السنن الكبرى من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إن الله يبغض كل جعظري[١]جواظ [٢] صخاب في الأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة ".** (صحيح الجامع: ١٨٧٨) (الصحيحة: ١٩٥)

١- الجعظري: الفظ الغليظ المتكبر.
٢- الجواظ: الجموع المنوع.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك